الحنين إلى الماضي

كتبتها سنة ١٤٠٥هـ، وكان لي حينئذ عشرون سنة

عشـتُ مهمـومَ الصباحِ — والليـالي أتفكّـرْ
باحثًا عـن صِـدْقِ صاحِ — أو هَـوًى بالطُّهْرِ يُعمَـرْ
لم أجـدْ غـيرَ الجـراحِ — في خُـمُوشِ الغَـدْرِ تُضمرْ
قـد عَـلا صـوتُ الصِّياحِ — في الـورَى : قَـتْلَى وخُـمّرْ
فالـدِّما في كـاس راحِ — خـيرُ مـا أَزْهَـىٰ وأَسْـكَرْ
والورى في الشرِّ ضاحي — والليـالي جِـنٌّ عبقـرْ

****

أيـن روضـاتُ الأقـاح؟! — قـد علاهـا الـدمُّ أحمـر
أيـن نسـماتُ البطـاحِ؟! — دَحَرَتْهـا رِيـحُ صَرْصَرْ
أيـن بَسْـماتُ المـزاحِ ؟! — بُـدِّلتْ أنيـابَ غُـدَّرْ
أيـن عُشـاقُ المِـلاحِ — عشـقُهم أَنقَـىٰ وأَطْهَـرْ ؟!
أيـن أزمـانُ الصُّـداحِ — في السـما : الله أكـبر ؟!
كـان يغـدو في المـراحِ — ناهيًـا عـن كـل منكـر
طـائرًا وافي الجنـاحِ — والجنـاحُ اليـومَ أبـتر
فـانتهى ضـعفًا ، أصـاحِ — ناكئًـا جُرحـي المـدثَّرْ

****

مـا الـذي أَدْجَىٰ صباحي؟! — فالصـباحُ الـبلْجُ أَدبـر
وانطـوَى عهـدُ الـبراحِ — ضَـيِّقًا ، والصـدرَ أوغـر
إنـه صـوتُ النِّبـاحِ — بالخنـا والإثـم يـأمر

يدّعي قولَ الصُّراحِ ... يلبس الثوبَ المطهّر
منهجَ الثعبانِ ناحي ... سُمُّه في الأرض يُنشر
فانطوى طَيَّ الصِّفاحِ ... جُهَّلُ الأقوامِ غُرَّر
واسْتُرِقُّوا بالقباحِ ... لُهَّثَ الأطماعِ والشَّر
واعْتلي صوتُ النُّواحِ ... فانْثَنى المُغْوِي وأدبر

****

بالحرام المستباحِ ... فِطْرَةُ الإنسانِ تُقبر
لا أرى إلّايَ صاحي ... مفردٌ في الناس منكر
كيف أحيا في ارتياحِ ... وافْتِطاري لم يُغيَّر
ساترًا رُوحي وشاحي ... حافظًا من أن تُهَتَّر
إنني نورُ الصباحِ ... شاعرٌ في الناس أوتر